التعدد اللغويplurilingualisme

قبل التطرق إلى مفهوم التعدد اللغوي والازدواجيةوالثنائية اللغوية، نقف عند مفهوم بعض المصطلحات ذات العلاقة الوطيدة بالأصل الاشتقاقي؛ حتى نضبط بعض المصطلحات التي تحوم حولها، أو التي تتردّد معها وتنافسها، كالثنائية اللغوية، والتعددية اللسانية، إذ هناك اتجاهات مختلفة بين الدارسين حول ماهية هذه المصطلحات وحدودها ،لاسيّما ونحن نعيش تعددية مصطلحية.

1. **اللغة الفصحى(la langue arabe classique)**

قبل الشّروع في تعريف اللغة الفصحى، أودّ الإشارة إلى أنّ كثيرا من الباحثين العرب يؤكّدون أنّ اللفظة المتعارف عليها قديما في هذا المجال هي لفظة (**لسان**)لا (**اللغة**)، فهم يستعملونه للدلالة على اللغة لأ نّه العضو الفاعل في هذه الظاهرة، ونجد الإشارة إلى تلك المزية في تعريف ابن خلدون للغة حيث يقول: "...فلا بد أن تصير متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمّة بحسب اصطلاحهم"

وقد تكررت لفظة اللسان في محكم التنزيل ثمان مرات، ونجد كثيرا من الباحثين المحدثين يقرّرون هذا المسلك مثلما يذهب أنيس فريحة قائلا: "يظهر أنّ العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبّرون عمّا نسمّيه نحن باللغة إلاّ بكلمة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السّامية شقيقات اللغة العربية، وقد يستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان وحدّها في معنى اللغة".

أما **الفصحى لغة التخلص من كل شائبة أي اللحن لغة.** قال الرّاغب الأصفهاني(ت502ه)في مفرداته: الفصح خلوص الشيء ما يشوبه، وأصله في اللبن، يقال: فصُح اللّبن وأفصح فهو فصيح ومفصح إذا تعرّى من الرّغوة، قال الشاعر: وتحت الرغوة اللبن الفصيح.ومنه استعير فصح الرجل: جادت لغته وأفصح الأعجمي تكلّم بالعربية.[1] وهذا المعنى اللغوي وحجّيته استقرّ عليه جميع أصحاب المعاجم قديما وحديثا، وهذا ابن سنان الخفاجي)1352ه-1952م(لا يخرج عن قولهم واستدلالاتهم قائلا: "الفصاحة الظهور والبيان"، ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح، قال الشاعر:وتحت الرغوة اللبن الفصيح ،ويقال أفصح الصبح إذا بان ضوءه، وأفصح كلّ شيء إذا وضح..."[2]. إلاّ أ نّه قصر الفصاحة على وصف الألفاظ حينما تحدث عن الفرق بين البلاغة والفصاحة.

---

[1] ينظر: الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،مرجع سابق، ص184.

[2] – أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي ،سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1982

ويلاحظ على الخفاجي أنه خصّص الفصاحة، وحصرها على اللفظة دون المتكلّم، وتخريج هذا القول على أن كلامه مبني على الأصل، أو على الأخص من العموم، وقد انتقل من الخصوص إلى العموم عن طريق الاستعارة ،وهذا ما أشار إليه الإمام السّيوطي: "ومنه استعير فصح الرجل"[1]، وقد قال في مطلع معرفة الفصيح: "والكلام عليه في فصلين، أحدهما بالنّسبة إلى اللفظ، والثاني بالنّسبة إلى المتكلّم به، والأوّل أخص من الثّاني، لأنّ العربي الفصيح قد يتكلم بلفظة لا تعدّ فصيحة"[2]، ونجد الجرجاني جمع بين هذه المعاني مبينا ما يخص الفصاحة، واللفظة، والمتكلم قائلا: "وهي أي الفصاحة في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس، وفي الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها، وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح". وجاء في مختار الصحاح : "رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق"...[3]

بناء على ما سبق تطلق الفصاحة على البيان والوضوح وتوصف بها اللفظة المفردة والكلام والمتكلّم، فيقال: لفظة فصيحة وكلام فصيح ومتكلّم فصيح[4]، وقد اشتهر في السّاحة الأدبية أفصح فلان عمّا في جعبته، فهي سمة لازمة للرجل الفصيح إذا خلا كلامه من الخطأ واللحن، واستقام لسانه من التأتأة والتلعثم

بما أنّ الفصاحة صفة تتصف بها اللفظة أو يتصف بها الكلام على الأصل، فهي تمثل المستوى الأعلى من الكلام العربي، والمرجع الأساس الذي يسمو إليه كل محب للعربية "ويتمثل هذا المستوى في عرف العربية الذي يتفق عليه كلّ العرب في جميع مستوياتها الصّوتية، والنحوية، والدّلالية والمعجمية، والصّرفية، والتي تمثّل لغة القرآن الكريم والكلام العربي القديم شعرا ونثرا"، وهناك من يعمم هذه الصفة على كل من اتصف بها-أي من نهج نهج العرب في كلامهم- وعلى هذا الاعتبار فإن العربية الفصحى هي: "لغة القرآن الكريم والتراث العربي جملة، والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين

---

[1] – ينظر : الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، مرجع سابق،ص184.

[2] – المرجع نفسه ،ص184.

[3] – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم، مكتبة لبنان ،1986، ص211.

[4] – إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني ،مراجعة: أحمد شمس الدين، مرجع سابق،ص618.

الشعر والنثر والإنتاج الفكري عامة"[1]، إذا هي-باختصار- لغة القرآن ولغة الإسلام، وهي الوسيلة التي انتشر بها الإسلام دينا وثقافة.

هناك من عرفها تعريفا سياسيا، على أنّها قسيمة للعامية، والتي تقابل لغة المنشأ، قائلا إنّ: "اللغة العربية الفصيحة هي لغة الهوية السياسية والاجتماعية والثقافية في آن واحد، وأمّا العامية الدارجة فهي تلك اللغة التي يبدأ الإنسان في استيعابها منذ ولادته فتكون أداة تخاطب يومي وتفكير ،فهي إذن اللغة التي ينشأ عليها الإنسان في بيئته الأولى بالخصوص، أي في العائلة"[2]. وهناك من يشير إلى مفهوم أوسع للفصاحة وهو العلامة اللساني الحاج عبد الرحمان صالح حيث يشير إلى:" أنّ أية لغة بل وأية لهجة تعتبر علميا بأنّها فصيحة، وأنّ أصحابها فصحاء، إن لم تتغيّر عن النظام النحوي الصرفي . وعرفها نهاد الموسي في مقالته "الفصحى وعاميتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن" بقوله: "الفصحى هي النموذج اللغوي الذي نتعلمه...

مستويات اللغة في المشهد المعاصر

تحدّث كثير من الباحثين المحدثين عن مستويات اللغة العربية، وجعلوا منها مستويات، منهم المقلّ، ومنهم المكثر مثلما ورد في مقالة للباحث نهاد الموسى" الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن"، وقد عرض ثلاث عشرة مستوى إلى ما آلت إليه حال العربية في المشهد المعاصر فوجدها تجري على أسماعنا في هذه الأنحاء العربية وهي: عربية فصحى في المصحف المرتل، عربية فصيحة بالفعل، عربية فصيحة بالقوة،عربية فصيحة محكية، وعربية شبه فصيحة، عربية وسطى، لهجات عامية محكية متداولة، لهجات عامية مكتوبة، عربية مكتوبة مجتزئة،عربية مختزلة مكتوبة بالحرف اللاتيني، عربية محكية وسطى، عربية عامية مهجنة، عربية عامية تخالطها مفردات وعبارات بالفرنسيةفي المغرب العربي[1].

ويذهب الأستاذ كامل حسين في كتابه اللغة العربية المعاصرة إلى أنّ مستويات اللغة أربعة وهي[3]: اللغة

---

[1] – إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص144.

[2] – محمد المعموري، عبد اللطيف عبيد ، تأثير تعلم اللغات الأجنبية في تعلم اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة ،تونس1983، ص11.

[3] – ينظر: د.صالح بلعيد، الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟ الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس2008، ص170.

العالية: وهي لغة الأدب الرفيع والخطب والمواعظ. اللغة المخففة: وهي الشائعة بين المثقفين والمتعلمين. العامية المنقّحة: وهي تقوم على إحلال وتغيير بعض الأصوات والمفردات وطرق النفي والاستفهام الفصيحة محلّ ما يقوم مقامها من العامية. العامية الخالصة. في حين أنّ الباحثين الغربيين ميزوا مستويات اللغة العربية على خمسة تنوّعات مثلما ذهب "بلانك" فجعلها: تراثية، وتراثية معدّلة، وعامية شبه أدبية، وعامية مشتركة، وعامية خالصة، وميزها "ميسيليه" بأربع مستويات وهي: عربية أدبية، وعربية أدبية شفاهية، وعربية المتعلمين المنطوقة، وعامية دارجة خالصة، وما زاد الإشكال تعقيدا يذهبون إلى أنّ هذه المستويات ليس بينها حدود واضحة[1]. إلاّ أنّ أكثر الباحثين يرون أنه يوجد مستويان للغة الفصيحة:

فصحى التراث: ونقصد بها فصحى المثال والنموذج والقدوة، المحتفظة بكل صفات الفصحى القديمة في معجماتها من المفردات وطريقة نطقها وأدائها، وصوتياتها ونظام جملها، وهندسة تراكيبها، أي هي المعيارية في كل مستوياتها، سواء صوتية كانت، أم صرفية، أم إفرادية، أم نحوية أم بلاغية،ونمطها ومثلها الأعلى هو القرآن الكريم، والحديث الشريف، وآثار الخلفاء والبلغاء والشعر العربي في عصور العربية الأولى.

الفصحى المعاصرة: ونقصد بها اللغة التي يشيع استخدامها في الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات وهي فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على وجه الخصوص. وهناك من يقول بأنّ الفصحى المعاصرة هي اللغة الوسطى المحلية، لا يلغى فيها الإعراب بتاتا، وإنّما يتخفّف منه إلاّ في مواقف الشّبهة واللبس، وتعني في واقعها بمستوى لغوي يقف وسطا بين الفصحى والعامّية، وبين لهجاتها المحلية

[1] –ينظر: ناصر بن عبد الله غالي ،تحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية، وظائفه الاجتماعية فيوسائل التواصل الاجتماعي: تويتر نموذجا ،مرجع سابق ،ص16.

المختلفة وتكون بمثابة لغة مشـــتركة ســـليمة ســـائغة بجيدها الخاصـــة ولا تعجز عنها العامة هي لغة تواصل وأساس تحقيق المزيد من الترابط الفكري والتماسك الحضاري.

وقد بيّن أحد الباحثين أننا نستعمل ثلاثة مستويات لغوية قائلا:"فنحن فيما جرى فيه العرف هذه الأيام، نستعمل الفصحى حين نكتب ونقرأ، ونستعمل العامية في الشؤون اليومية الخالصة، ونستعمل العربية الوسطى في المواقف الثقافية الرسمية"[1].

إنّ جل الباحثين النحارير يتفقون على ماهية الفصحى التّراثية، ويختلفون في ماهية الفصحى المعاصرة أو المستوى الثالث كما يسميها بعض الباحثين، ونجد بعض الباحثين يطلق عليها اسم العربية الحديثة، ويعرفها بشيء من التعقيد والغموض، مثلما نحت هذا المنحى الباحثة خولة طالب الإبراهيمي حيث تقول بأنّها: "لغة وسائل الإعلام والنقاش السياسي والأدب المعاصر، كما هي وبشكل مطرد لغة التخاطب بين عربيين عاديين من بلدان عربية مختلفة شريطة أن يكونوا حظوا بتمدرس أدنى، وأنّهم يتعذر عليهم التخاطب بلغة أخرى مشتركة"[2].

وقد وقفنا على مقالة لأحد الكتاب "فاروق شوشة" ينقل لنا كلمة عن أصحابها تتحدث عن التفاضل بين المستويين (فصحى التراث)، و(فصحى المعاصرة) الموحية للصراع والنزاع بناء على اعتبارية ما يكون، حيث يقول في هذا الصدد: "ويرى البعض أنه إذا كانت فصحى التراث أعلى في السلم اللغوي من حيث الصّحة مقارنة بفصحى العصر، فإنّ فصحى العصر أكثر غنى واتساعا ووفرة في المفردات والصّيغ، والقدرة على استيعاب ما يدخل في جسم العربية من مفردات وتعابير– عن اللغات الأجنبية– نتيجة للترجمة أو التعريب، فضلا عن اتساعها المستمر لكلّ ما يضاف إلى المادة اللغوية نتيجة للاشتقاق والقياس، والتوليد، من خلال الجهد الدّائب للمجامع اللغة العربية في العمل على

---

[1] – ينظر: مهى محمود العتوم ،الازدواجية اللغوية في الأدب"نماذج شعرية تطبيقية"، مرجع سابق ،ص168.

[2] – خولة طالب الإبراهيمي ،الجزائريون والمسألة اللغوية، دار الحكمة، الجزائر، ط2، 20007، ص17.

إثراء لغتنا العصرية، وإمدادها بكل ما يجعلها قادرة على الوفاء باحتياجات العصر واستيعاب منجزاته وما يحمله من جديد لا يتوقف".

وقد وقفنا على كلام للدكتور صالح بلعيد ينقل أنّ بعض المعاصرين يتهم اللغة الوسطى بأنّها تعمل على الخرق اللغوي، ولا يقصد بها إلاّ إقصاء الفصحى وزحزحتها عن مكانها، ليخلوَ المكان لعامية والأجنبية "ولقد كان الهدف من وراء ذلك وقف العربية عن النمو، وهي لغة الفكر والعلموالعبادة لدى الملاين من المسلمين، وإحداث لغة وسطى بين العامية والفصحى، وذلك للنزول بالثقافة والفكر إلى مستوى العامية"[1]، والعمل بأصل سدّ الذرائع في مثل هذه ال ثغرات واجب محتم.

فعربية اليوم- لغة التأليف والخطابة ولغة العلم والإعلام وغيرها- هي امتداد لعربية العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، وعلى هذا جاءت جميع حدود العربية الفصحى مبنية على هذه النظرة، مثلما نجد الباحث عبد الكريم خليفة يشير إلى هذا الامتداد ضمنيا حيث يقول: "ونحن عندما نتحدّث عن الفصحى، إنّما نتحدث عن العربية لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، اللغة الجامعة لتراث أمّتنا العربية على امتداده الجغرافي من أقصى المغرب العربي إلى أقصى مشرقه، وفي عمقها التاريخي عبر القرون منذ العصر الجاهلي ونزول القرآن الكريم وحيا على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين حتى يومنا هذا"[1]، كما نستشف من تعريف محمد التونجي بأنّ للغة مستويين لا ثالث لها، حيث يقول في معجمه المفصّل عن اللغة الفصحى بأنّها "اللغة التي نزل القرآن الكريم بها، وهي المتمثلة في نصوص التراث الأدبي في العصر الجاهلي والإسلامي، وهي اللغة المستخدمة في الأعمال الأدبية في الآماد التالية للعصر الإسلامي، والتي اصطنعت في الأمور الجديدة ،كما أنّها لغة القبائل أصلا، وهي

[1] -ينظر: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة ،مرجع سابق، ص119.

اليوم لغة التأليف والمحاضرات والجامعات والصحف والإذاعة، وغدت اللغة الفصحى تعني اللغة الأدبية في مقابل اللغة العامية"[1].

إذا نلمس في السّاحة العلمية كثيرا من الحدود التي تنص على التقسيم الثنائي، المستوى الأوّل الذي يطلق عليه عادة اسم الفصيح، وقد يسمى الأدبي، أو الثقافي ويسميه فرغيسون وغيره من علماء اللسانيات الاجتماعية بالشكل الأعلى(high variety)، والمستوى الثاني يتمثل في العاميات بمختلف صورها.

بناء على هذه الرؤية فإننا نحبذ أن يكون للغة مستويان لا ثالث لهما، اقتداء بمن سبقنا، ودرءا لباب المفسدة التي قد يستغلها أعداء هذه اللغة، مستوى اللغة الفصحى ، وهي فصحى التراث ،فصحى العلم والتعليم، والمعيار على السلامة اللغوية، والنموذج الرفيع لسلامة التعبير وفصاحته، أمّا المستوى الثاني يتمثل في النمط الدارج العامي، وهو كل ما كان بعيدا عن معيار الفصاحة والسلامة اللغوية، وكان في مجمله ذو أصول وجذور عربية، وإلاّ صار هجينا لغويا أجنبيا لا ي عرف.

ثانيا: تعريف اللهجة لغة: تعتبر هذه اللفظة من المصـــطلحات المتواجدة في أمهات المعاجم العربية والكتب اللغوية قديما بكثرة، ومن ذلك ما ذكره ابن منظور في معجمه "لســان العرب" يقول: "لهَجَ، لَهج بالأمر لهجا ولهجَ كلامها، واللهجة طرف اللسـان، واللهجة جرس الكلام...ويقال فلان فصيح اللهجة، واللهجة هي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها"[1].

وذكرت هذه اللفظة في المعاجم المعاصـرة بشـيء من التوسّـع : لهجة: جرس الكلام وأسـلوب اللفظ، صــفة التعبير عن حالات نفســية وعن مضــمون الكلام، واللهجة لغة الإنســان التي جُبل عليها واعتادهـا، وهي مجموعـة نبرات تميز لغة بلد أو محيط معيّن:"لهجة إنجليزية"،" لهجة بدويةّ" ،لهجة

[1] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1999، ص686.

محلية"،" لهجة جبلية"، وعلم اللهجات علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات.

اصطلاحا: يعرّفها الدكتور إبراهيم أنيس قائلا: "أمّا اللهجة فهي مجموعة الصّفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة، والعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الخاص بالعام، لأنّ بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تعمّ عدّة لهجات لكل منها خصائص ولكن تشترك جميعا في مجموعة الظواهر اللغوية"[1]، ونحى هذا المنحى كذلك الدكتور محمد محمد داود قائلا إنّ اللهجة: "نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص العامّة"[2].

ونجد ابن منظور أشار إلى معنيين مهمين للهجة: اللهجة جرس الكلام نستشف منها التأدية الخاصة للمتكلم في الخطاب، بواسطة النبرة الخاصة للألفاظ والتراكيب، وعليه نستطيع تحديد جغرافية المتكلم أشرقي أم شمالي ، أغربي أم جنوبي؟ .

مع العلم أنّ هذه الجغرافية بها لهجات مختلفة، كذلك إذ تختلف من منطقة لأخرى، فاللهجة الغربية نستطيع أن نحدّد جغرافية المتكلم أهذا وهراني، أم جندلي، بواسطة ذلك الجرس–النبرة– لأنّ تلك النبرة تعتبر أبرز ما يميز لهجات اللغة الواحدة "فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان"، والنبرة إحدى الخصائص والصفات التي تتميز بها بيئة ما في طريقة أداء اللغة أو النطق. علما أنّ كثيرا من الباحثين المحدثين خرج عن هذا المألوف، وأطلقوا اللهجة على العامية مثل الدكتور شوقي ضيف، والباحث نايف معروف، يقول هذا الأخير عن اللهجة بأنها: "اللسان الذي يستعمله عامة الناس في حياتهم اليومية لقضاء حجاتهم والتفاهم فيما بينهم"[3].

---

[1] – د.إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص16.

[2] د.محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،2001م، ص64.

[3] نايف معروف ، خصائص العربية وطرق تدريسها، دار النفائس، بيروت، ط1، 1985، ص59.

وبناء على ما ســـبق من التعريفات –وعلى رأســـها مقولة ابن منظور –بأنّ اللهجة جرس الكلام، أواللغة التي نشـــأ عليها المتكلم، يفضـــل ألا نطلق اللهجة على العامية كما هو متداول بين كثير من الباحثين المحدثين، فيقصدون باللهجة العاميّة، والعامية اللهجة، وذلك لأمور منها:

1:تعتبر اللهجة هي الأصل بدون ريب.

2: اللهجة أعمّ من العامية، حيث أطلقت على المستوى الفصيح ، والمستوى العامي.

3: اللهجة بمنزلة اللغة، وقد تفوقها كما يعتقد أنيس فريحة قائلا: "لا فارق جوهري بين لهجة ولغة إنما الفارق أنّ لهجة ما، ولسبب خارجي، أو لظروف خاصة تعتبر اللغة قومية رسمية، بينما لهجة أخرى ربما أفضل منها، لا يعترف بها... فالقضية قضية سلطة عليا، وقضية اعتراف بهذه السلطة"[1].

4: المشهور في كتب القدماء أنّ اللهجة تطلق على اللغة الفصيحة في حد ذاتها، وهذا المعنى الثاني الذي ذكره ابن منظور بقوله: "اللهجة هي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها" ولا ينكر أيّ أحد أنّ اللهجة العربية –اللغة– قبل الفترة الإسلامية كانت ذات تنوُّع وأنماط مختلفة في المفردات والتراكيب والأصوات، وعرفت باللهجات القبائلية، وإن كانت تتفاضل فيما بينها لاعتبارات، وعلى رأسها لهجة قريش، وبها نزل القرآن، وأقرّ غيرها من اللهجات عن طريق القراءات التي قرئ بها، وأجمع العلماء قاطبة أنّها بلسان عربي مبين.

5: اللهجة ذات جذور عميقة يصعب اجتثاثها، أما العامية فيمكن زوالها.

6: اللهجة لها نظام خاص، خلاف العامية فإنه لا تثبت على صفة ثابتة.

لذلك نميل إلى أنّ اللهجة مصطلح مغاير تماما لمصطلح العامية، فقد نقصد بها اللغة كما استُعملت في التراث العربي، وإذا أردنا غيرها –جرس الكلام– قيدناها ولا نريد بها العامية.

---

[1] – أنيس فريحة ،نحو عربية ميسرة ،دار الثقافة ، بيروت، لبنان ،ص93-94.

العامية قد تشكل خطرا بخلاف اللهجات فإنها لا تشكّل خطرا في نظر بعض الباحثين ؛ لأن طبيعة الصّراع المعاصر تكشف عن اختلالات كبيرة في مفهومي اللهجة والعامية، ولعلّ الخطر الداهم على اللغة الفصحى هو العامية وليست اللهجة، لأنّ العامية تحريف للغة إضافة إلى مزجها بألفاظ أجنبية، عكس اللهجة التي ما هي في الحقيقة إلاّ فرع عن اللغة، وتطور في بعض ألفاظها، حتى وإن حدث شبه انحراف عن اللفظ الأصيل، المهمّ في كلّ ذلك هو بقاء ظلال الأصل دالة على التغيّر"، فالعامية في نظره تحريف للأصل مع إضافات أجنبية، خلاف اللهجة فهي جزء من اللغة.

ثالثا: تعريف العامية (Dialect)لغة:

إن لفظة "العامية" مأخوذة من لفظ العام الذي يقابل الخاص، حيث جاء في تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري)280هـ -370هـ) ما يلي: "ويقال رجل عمي ورجل قصري، فالعمي: العام والقُصري: الخاص"[1]، وأكّد هذا المعنى ابن منظور(ت711هـ) في لسانه إذ قال: "والعامة خلاف الخاصة"[2]، وجاء في المعجم الوسيط في مادّة عاميّ أنّها "لغة العامّة، وهي خلاف الفصحى، والعامي من الكلام ما نطق به العامّة على غير لسان العرب"، فالمعنى اللغوي للعامية مداره العام الذي يقابله الخاص، وقد استعملت النسبة منه للمفرد المذكر فقالوا: عامي، ثم وصفت به اللغة وهي مؤنثة حكما فقالوا: اللغة العامية، أما تعريفها من الناحية الاصطلاحية فسيظهر لنا جليا عندما نتطرق لحدودها عند الباحثين من العرب والعجم .

2. **اصطلاحا**: هي سلوك قولي محرّف عن الأصل مع إضافات لفظية أجنبية، ولا يراعى فيها ظاهرة الإعراب أثناء الممارسة، وتقتصر على الشؤون العادية والحديث اليومي في جل الأوقات ،وهو النمط الذي يسميه الباحثون الغربيون(spoken arabic) أو(collo quial arabic) ، وهذا ما

---

[1] – ينظر: أبو منصور بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون،ج1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص121.

[2] – ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور،ج12، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص431.

أشار إليه د.عبد الرزاق عبيد في حديثه عن المستوى العامي فيقول عنه: "الذي يتخذه السواد الأعظم من أفراد المجتمع المعاصر وسيلة للتبليغ وقضاء الحاجات اليومية، ويتميز بالتحرر من الأحكام الإعرابية والصرفية الصارمة وبروز الآثار اللهجية الجهوية إلى حد اللكنة والإسفاف والابتذال أحيانا وبالافتقار إلى المصطلحات العلمية والمفاهيم الفكرية المجردة، ويتكفل بقليل من المجالات الأدبية كالمسرحيات والأغاني الشعبية على وجه الخصوص"[1]..

الملاحظ على جل التعريفات التي تناولت العامية يتفقون على أنها خاصية الانحراف الذي يمس البنية، وأواخر اللفظ، والتركيب.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أنّ العامية ليست لغة بل لهجة فيقول: " العامية ليست لغة بل لهجة مولدة من تحريف كلمات الفصحى، وتبلغ اللغة الفصحى المحرفة فيها نحو 80% من كلماتها"[2]، ولكن هذه النسبة لا تزال في تناقص مستمر خاصة في هذا الجيل الذي احتك وتأثر بالعولمة المدمّرة التي ساهمت في نشر داء التّهجين اللغوي، وبهذا التعليل لا نوافق ما ذهب إليه الباحث عبد المالك مرتاض حينما قال: "ولما كانت العامية بنتا وتراكيبها ناشئة عنها منحوتة منها، فإنها تقوى في الموضوعات أو المجالات التي تقوى فيها الأم"...[3]، هي بنت للفصحى قبل أن يدخلها التهجين ،وإلا فهي أقرب للغربة والعجمية.

ونلتمس في كثير من التعريفات وشبهها أنّها أقرب إلى الوصف من الحدود، ومن ذلك وصف زغلول لها بأنّها: "النمط الذي يسميه الغربيون بالعربية الدارجة(colloquial Arabic)، أو العربية المحكية(spoken Arabic)، أو اللهجة(Dialect)، وهي التي أطلق عليها فيرغسون النمط

[1] – د.عبد الرزاق عبيد، العربية الفصحى والعامية: متن اللغة لأحمد رضا)أنموذجا(، الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس 2008، ص320-321.

[2] – د علي القاسمي، العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص202.

[3] –عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، مرجع سابق، ص135.

المنخفض ورمز له بحرف(L)، وهو النمط الذي يكتسبه العرب بصورة طبيعية في مختلف أصقاع الوطن العربي، ويختلف هذا النمط باختلاف المناطق الجغرافية والجماعات البشرية المتمايزة".

وكذلك وصف أسعد النادري لها بقوله :" هي لغة الحديث اليومي، والتي يستخدمها العامة والخاصة على حد سواء، في شؤون حياتهم العادية، في البيت والشارع والسوق والمقهى وحتى في حرم الجامعات"[1]، ووصفها الحاج صالح هو الآخر بقوله:" هي اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمن بعيد في الحاجات اليومية وفي داخل المنازل وفي وقت الاسترخاء والعفوية.

ومن هذه الحدود نتوصل إلى مفهوم واحد للعامية بأنها لغة بسيطة مرتبطة بأصل تعارف عليها أبناء البيئة الجغرافية الواحدة، منحرفة في أصواتها وأ وزانها، متخذة الإعراب ظهريا، تستعمل في الحاجات اليومية عموما، أي أنّ العامية تعود إلى أصل، دبّ إليها الفساد اللغوي على مستوى الألفاظ والصيغ والجمل والحركات الإعرابية، وقد ذكر أحد الباحثين خصائصها قائلا: "فأمّا الألفاظ فإنّ العامية لا تبالي أن تستحدث ما ليس له أصل في الفصيح، ولا تبالي أن يكون منها ألفاظ داخلتها على مرّ القرون من لغات قديمة أو تسربت إليها من اللغات الأجنبية الحديثة...وأمّا الصيغ فإنّ العامية تخالف الفصحى في كثير من أبنيتها، بل تميت بعض الصيغ...وأمّا بناء الجملة فإنّ العامية تعتمد إلى نحت الجملة المطوّلة في صيغة واحدة أحيانا...وأمّا الإعراب فإنه أبرز ما يميز العامية عن اللهجة اللغوية لأنّ العامية تهمل الإعراب جملة وتفصيلا".

[1] – محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله ،مرجع سابق ،ص347.

ونشير إلى أنّ العامية في كتب المحدثين اتخذت عدة أسماء مثل[1]: "اللغة العامية"، و"الشكل اللغوي الدارج"، و"اللهجة الشائعة،" و"اللغة المحكية"، و"اللهجة العربية العامية"، و"اللهجة الدارجة"، و"اللهجة العامية"، و"الكلام الدارج"، و"الكلام العامي"، و"لغة الشعب"، اللهجة اليومية.

وهناك من يصطلح عليها بلغة الحديث كالدكتور علي عبد الواحد حينما تحدّث عن لغة الآداب وما يقابلها قائلا: "ونقصد بلغة الحديث اللغة العامية التي نستخدمها في شؤوننا العادية ويجري بها حديثنا اليومي"[2].

من هذه التعريفات، وخاصة إذا علمنا أنّ اللهجات العامية في الواقع الجزائري هي مزيج عجيب من اللغات التي نطق بها الإنسان الجزائري على مر التاريخ (الأمازغية، العربية، التركية ،الإسبانية، الفرنسية،)،،، ولا ينفي ذلك أنّ في هذه اللهجات العامية ما هو من الفصيح العامي الذي يحتاج إلى جهد الدارسين لبيانه وتحليله ودراسته ، ونشير إلى أنّ اللهجات العامية التي تتحلى بالفصيح هي البعيدة عن تأثيرات البيئة الاستعمارية فبقيت محافظة على أصولها العربية، وقد ألف فيها بعض العلماء والباحثين إذ بينوا صلتها الوثيقة بالعربية الفصحى منها كتاب الشيخ الإبراهيمي "بقايا الفصيح المنتشر في العامية الجزائرية" وكتاب محمد الصالح رمضان "فصيح اللغة العربية في العامية الجزائرية."

[1] – ينظر: إميل بديع يعقوب ،فقه اللغة العربية وخصائصها ،مرجع سابق، ص 144-145.وكذلك ينظر: سالم الماعوس ،إشكالية الفصيح والعامي في الأدب الشعبي)مقارنة نصية من مارون عبود(.الفصحى وعاميتها، منشورات المجلس 2008، ص417-418.

[2] – علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مرجع سابق، ص119.

علاقة اللغة بالعاميات:

الفصحى	العامية
لغة مقتصرة على الخاصة	لغة السواد الأعظم من الناس
لغة علم ومصطلحات	تفتقر إلى مصطلحات العلمية والفنية
مقيدة بالأحكام اللغوية	متحررة من جميع الأحكام والقواعد
المتحدث بالفصحى يتمكن من القراءة والكتابة ولا يجد صعوبة في فهم معانيها	المتكلم بالعامية يجد صعوبة كبيرة في فهم معانيها وخاصة إذا اختلفت المناطق
لغة العرب جميعا، وهي لغة موحدة ،يسهل التعامل بها في جميع المناطق العربية	لغة تختلف باختلاف البلدان، بل قد تختلف من منطقة إلى أخرى، ويصعب التعامل بها في جميع المناطق
لغة حاضرة في المحافل الدولية ومنظماتها	لغة غائبة عن المحافل الدولية ومنظماتها
لغة مرنة اشتقاقية، تملك قاموسا شاسعا من المفردات لا تملكه لغة أخرى	لغة غير اشتقاقية ذات قاموس محدود
بعيدة عن الخلط اللغوي، أي لا تستعين بلغة أخرى في الاستعمال	تقرض من اللغات الأخرى، وتستقبل الدّخيل على مصراعيه من غير شرط
لغة الوحي القرآني التي يستعملها المسلمون في جميع الأقطار للعبادة	لغة عامة الناس، إلاّ أنّها قاصرة لا تصلح للعبادة في العموم
لغة الوحي القرآني التي يستعملها المسلمون في جميع الأقطار للعبادة	لغة عامة الناس، إلاّ أنّها قاصرة لا تصلح للعبادة في العموم

مخارج حروفها وأصواتها واضحة حيث لا تتجاوز التسعة والعشرين حرفا	تتعدد حروفها نطقا من منطقة لأخرى ،كما تتجاوز حروفها حروف الفصحى
إنّ حركات ونقاط حروفها مقننة	حركات ونقاط حروفها غير مقننة ،مهملة للتنوين، إمّا بتسكين أواخر الكلمات أو بإضافة حروف عليها

أسباب ظهور العاميات:- صعوبة الفصحى والمغالطة النفسية – اختلاف البيئات الجغرافية – الاحتكاك الإنساني – اللحن – دراسة علماء اللغة المحدثون للهجات – الاستعمار

رابعا: التعدد اللغوي (plurilingualisme) : يعرفه جوليت غارمادي بأنه :"استعمال منظومتين أو أكثر من جانب المتكلمين في متحد واحد"[1]: أي أن التعدد اللغوي عبارة عن استعمال لغات لا تقل عن لغتين داخل حيز اجتماعي معين، ومن هذا المفهوم تتداخل الظواهر معه كالازدواجية والثنائية، لذلك نجد أن جل الباحثين حينما يتطرقون لظاهرة التعدد اللغوي إلاّ ويذكرون في ثنايا كلامهم هاتين الظاهرتين، كما نجد له أسماء أخرى كالتعدد اللساني، والتفرع اللغوي، والتنوع اللغوي. ويعرفه محمد الأوراغي بقوله: "التعدد اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبيMULTILINGUISMIE وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي، إذا

[1] – جوليت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، عربه: د.خليل أحمد خليل، مرجع سابق ،ص115.

كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإمّا على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية"[1].

نستشف مما سبق أن هذا المصطلح لا يمكن إطلاقه إلا بوجود هذه القيود التي أخرجت لنا أنواعا أخرى لا بد من توفر جماعة معينة، ومجموعة من اللغات لا تقل عن لغات ثلاث. لا يشترط في اللغات أن تكون مختلفة الجذر فيما بينها ،بل يفهم من المصطلح وجود مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد، كما هو الحال في الفيدرالية السويسرية والفيدرالية البلجيكية والكندية والمغرب العربي.[2]

وعليه يتعين أنّ التّعدد اللغوي ليس ظاهرة جديدة، ولا هي مقصورة على أمة دون أمة، بل كل له نصيب منها قل منها أو كثر، وهذا ما أشار إليه لويس كالفيي أن التعدد اللساني "ليس مقصورا على مناطق مخصوصة، ولا هو سمة من سمات العالم الثالث على وجه التحديد، أو من سمات البلدان النامية،...فالتعددية اللغوية قدر مشترك وإن ظهرت بأشكال مختلفة في كل حال"[3].

خامسا: التداخل اللغوي

نتطرق لهذا العنصر باعتباره أثرا من آثار بعض الظواهر اللغوية كالثنائية والازدواجية والتعددية، ولعل هذا ما جعل برنارد صبولسكي ينظر إلى التداخل بأنه "قد يكون خلط كلمات مستقاة من لغتين

---

[1] – محمد الاوراغي، التعدد اللغوي وانعكساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء ،منشورات كلية الآداب بالرباط،2002، ص11.

[2] – د.صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر ،2010، ص224.

[3] – لويس كالفيي، حرب اللغات والسياسة اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مراجعة: سلام ب زي حمزة، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت ،لبنان،ط1، 2008، ص77.

أو أكثر في الخطاب"[1]، فيحدث التشابه والالتباس وصعوبة فصلها عن بعضها البعض نتيجة تشابكها وهذا ما يؤكده المعنى اللغوي لهذه اللفظة كما جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ" تداخل الأمور:تشابهها والتباسها ودخول بعضها ببعض"[2] .

وهناك من يطلق عليه الهجين اللغوي[3]،كما نلمسه عند جورج موونان في معجم اللسانيات حينما تحدّث عن تشكّله وقال بأنّها تمثل ظاهرة لغوية هجينة إذ "التغيرات الناتجة في لغة ما التي تحدث بفعل التماس مع لغة أخرى أو أكثر ما يشكّل لغة تواصلية هجينة تمثل ظاهرة التداخل اللساني".

ويعرفه الدكتور أحمد البناني قائلا:" هو مصطلح يشير إلى تأثير اللغة الأم على اللغة التي يتعلمها المرء، أو إبدال عنصر من عناصر اللغة الأم بعنصر من عناصر اللغة الثانية، والعنصر يعني صوتا أو كلمة، أو تركيبا، أو بعبارة أخرى يبدو التداخل اللغوي في تسلط نظام اللغة الأم على نظام اللغة التي يتعلمها الفرد، حيث يتجلى ذلك من خلال استبدال عنصر لغوي من اللغة المتعلمة بعنصر آخر من عناصر نظام الأم"[4]، وهذا المعنى الذي اشتهر عن كثير من باحثي اللسانيين الغربيين، بأن التداخل تأثير لغة الأم على اللغة التي يتعلمها المرء كتعريف اللغوي اينر هوجن Einar hougen، وهناك نظرة أوسع من هذا التعريف لبعض الباحثين كالدكتور علي القاسمي قائلا: "ولكننا ننظر إلى التداخل اللغوي بوصفه انتقال عناصر من لغة (أو لهجة) إلى أخرى، في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة: الصوتية، الصرفية والنحوية، والمفرداتية والدلالية والكتابية، سواء أكان الانتقال من اللغة الأم الثانية أو بالعكس،

---

[1] – برنارد صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: ستقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2010، ص128.

[2] – ابن منظور ، لسان العرب ،ج11، دار صادر، بيروت، لبنان ، ص243.

[3] – ينظر:صالح بلعيد، الأمن اللغوي، مرجع سابق، ص224.

[4] – د.أحمد بناني: الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها، مرجع سابق ،ص108.

وسواء كان هذا الانتقال شعوريا أو لاشعوريا، فإذا تأثرت اللغة العربية الفصيحة التي يتكلّمها الطفل العربي بلهجته العامية أو باللغة الأجنبية التي يتعلمها ،فإننا نعدّ ذلك من باب التداخل اللغوي كذلك"[1].

تطلبها مناسبة ولا تقتضيها ضرورة، ولا يستدعيها مقام، وإنّما هو شعور الضعف الذي سرى فيناواستحوذ علينا"[1] ، وقد تكون أسباب أخرى زادت من الأمر تعقيدا وترسيخا لهذه الظاهرة مثل:

- احتكاك اللغات مع بعضها البعض، ومن ثم ظهور الظواهر اللغوية.
- تغذية الوسائل الإعلامية لهذه الظاهرة بحجة المساعدة على الوظيفة التبليغية.
- خلو بعض اللغات من المصطلحات والأسماء العلمية ما يضطر المستخدم إلى استعمال مفردات الغير.

فالخلط بين العربية وألفاظ أخرى من اللغة الفرنسية أو غيرها حتما يؤدي إلى المزالق اللغوية،فإذا اعتبرنا العامية أو الدّارجة في موضع اللغة الأم بالنسبة للطفل، فإنه في هذه الحالة يرتكب أخطاء لغوية في مرحلة تعلمه للفصحى، فتجده يقارن بطريقة لاشعورية بين أنماط اللغتين، ويقوم بتحويل بناء لغة الأم إلى اللغة الثانية، على سبيل المثال نجده يقول: قال "بأن" بدل قوله "قال إن"، وقد أشار إلى هذه المهالك اللغوية الدكتور أحمد معتوق قائلا: "لقد أدى هذا الخلط إلى ضعف اللغة العربية وإنتاج جيلا لا يقدر أن يبدع ولا أن يفكر بهذا الوضع، وهو ما يؤدي مستقبلا على مسخ اللغة العربية والبعد عنها أو تحويلها إلى لغة هامشية فاقدة الهوية معرضة للانزواء والانكماش"[2].

كما تحسن الإشارة إلى الفرق بينه وبين الدّخيل، أن الدّخيل هو الكلام الأعجمي الذي دخل العربية وتركه العرب على صورته التي أخذ بها من لغة أخرى، وهناك من قيده بالمعيار الزمني كما

[1] – د.علي القاسمي، التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر ،ع1، 2010، ص77.

[2] – أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ص522.

فعل الدكتور ظاظا حيث عرف الدّخيل بأنه "لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصـــور العرب الخلص الذين يحتج بلســـانهم"[1]، ويرى عبد الكريم مجاهد أنه هو "اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير"[1].

وفي نظرنا أن لفظة "التداخل" تحمل معنى التفاعل والاندماج وكأن الألفاظ لما اندمجت بنظام غير نظامها وطرأ عليها تغيير في الصوت أو الحذف أو الزيادة فتفاعلت وصارت من ذلك النظام أما لفظة "الدّخيل" يوحي بأنه غريب مقترض فيبقى على حاله بدون تغيير.

هناك من الباحثين لا يفرق بينهما في المعنى والاستعمال كما نجد الدكتور عبد الصبور شاهين يوصي أن تحفظ العامية من الدّخيل حتى لا يقع مثلما وقع في شمال إفريقيا قائلا: "يوشك أن تغرق العربية الشعبية في طوفان الدخيل ،وحينئذ قد نواجه ما واجهت شعوب إفريقيا من استعمال ألسنة الناس ،يومها لن يجدينا أن نبدأ جهودا مضادة لتعريب الألسنة على طريقة قل ولا تقل"[2].

بل العامية الراقية التي لا يكاد أن يفرق بنها وبين الفصحى إلاّ في الإعراب، يجب أن تصان من الدّخيل الذي لا يخضع لقوالب اللغة وصياغتها، إذ تعتبر خط الدّفاع الأوّل لحرم الفصحى ،فمثلها كمثل الجلد لجسم الإنسان، فمتى اختُرق الجلد من الأجسام الغريبة أصبح الجسم في خطر شبه محقق، مع العلم أن الدخيل يعمل على إخراج العامية الراقية من حيّز الألفة إلى دائرة الوحشة والغربة، فيزداد الشرخ بين النمطين، ويحتدّ الصراع بين الأنصار، وتظهر شماتة الأعداء.

كما نجد الدكتور نويوات قد نوه عن هذا الإشكال الذي أصاب ألسنة اللغويين والكتاب، وأطلق عليها البلاء المبين، حيث قال بصددها: "أما أن يمزج لغته بلغة أجنبية في الجملة الواحدة لكسل فكري أو لعادة استفحلت فانقلبت فطرة أو لنقص في التكوّن أو في اللغة أو في الأداء أو لتباه بلغة فرضت وجودها فذلك البلاء المبين". وقصارى القول أنّ التداخل" باعتباره نوعا من الأسلبة والمحاكاة

---

[1] – المرجع نفسه، ص282.

[2] – عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص253.

الساخرة باستعمال الفصحى والعامية واللغة الأجنبية واللهجات المحلية دون وعي بما ينتجه هذا الخليط الذي ينخر المجتمع من داخله ويقلعه عن موروثاته"[1].

سابعا: المصطلحات اللسانية للازدواجية اللغوية

اختلف الباحثون في تسمية هذه الظاهرة اختلافا قريبا من التضاد بعيدا عن التنوع، وسنشير إليها بشيء من النقد والإيضاح، المصطلحات التي أُطلقت على هذه الظاهرة هي كالآتي:

1.المستويات اللغوية

يعتبر من أغرب المصطلحات التي أطلقت على هذه الظاهرة، ولم يكتب له الشيوع والذيوع كغيره من المصطلحات، ويعود ذلك في نظرنا لعموميته من جهة، ومن جهة أخرى اشتهر لدى الباحثين واللغويين واللسانيين هذا المصطلح على المسميات القاعدية كالنحو والصرف والبلاغة والدلالة وغيرها، والذي أطلق هذا المصطلح على هذه الظاهرة الدكتور منذر العياشي حينما تحدث عن العربية ووهمُ ازدواجية اللغة قائلا: "يتبين لنا أن قضية الفصحى والعامية لا تدخل في إطار ما تسميه اللسانيات ازدواجية اللغة، ولكنها تدخل في إطار آخر يمكن أن نصطلح عليه ب "مستويات اللغة"، ويذهب أبعد من هذا معتقدا بأن تسميتها بالازدواجية أو الثنائية تعتبر مغالطة علمية كبرى لأنه يذهب مذهب الذين يؤكدون أن الازدواجية مرهونة بوجود لغتين متميزتين كالفرنسية والألمانية مثلا إذ يقول: "إن قسم اللغة إلى فصحى وعامية بناء على مفهوم ازدواجية اللغة يعتبر مغالطة علمية كبرى، أو وهما لا حدود له"[2].

2.الثنائية اللغوية BILINGUISME

[1] – صالح بلعيد ،الأمن اللغوي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2010، ص225.

[2] – المرجع نفسه، ص52.

أطلق هذا المصطلح على الظاهرة اللغوية المعبّرة عن وجود مستويين للغة ما، تستعملان جنبا إلى جنب، وهذا عند بعض الباحثين وبخاصة باحثي المغرب العربي، وعلى سبيل المثال نجد الدكتور صالح بلعيد ينحو هذا المنحى لما تطرق إلى اقتراح بعض الحلول حول الضعف اللغوي عموما، وذكر منها اقتراح معالجة الثنائية اللغوية قائلا: "وفي وقتنا المعاصر نرى تباعدا كبيرا بين المستوى العالي (الانقباضي) والمستوى الدارج (الأنس) وهذا يشكل خطرا في لاحق الزمان"[1].

ونجد من غير المغاربة يسلك نفس المسلك ومفضلا مصطلح الثنائية اللغوية على غيره الباحث الدكتور أميل بديع يعقوب حيث يقول: " قُصد بازدواجية اللغة "Bilinguisme " وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما ، في آن واحد...فالازدواجية اللغوية الحقة لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين كما هو الحال بين الفرنسية والعربية، أو بين الألمانية والتركية أما أن يكون للعربي لغتان إحداهما عامية والأخرى عربية فصيحة ، فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه، إنه بالأحرى ضرب من الثنائية اللغوية "Diglossie" ".

ويلاحظ على الباحثين أنهما يتفقان عل المصطلح وفحواه إلا أنهما لا يتفقان في ترجمة المصطلح فالأول يترجم الثنائية ب "Bilinguisme " وأميل بديع يعقوب يترجمها "Diglossie".

3. الثنائية الرأسية أو (الثنائية اللهجية)bidialectalism

تعتبر من المصطلحات الجديدة التي تعبر عن ظاهرة وجود لهجتين إحداهما فصيحة والأخرى عامية في مجتمع ما والذي قال به الباحث محمد علي الخولي مفضلا استعمال الثنائية المقيدة بالرأسية أو اللهجية فقال: "أما إذا كانت اللغتان لهجتين للغة واحدة، كأن تكون لهجة عالية فصيحة، ولهجة عامية محلية فتدعى هذه الثنائية بثنائية رأسية Vartial Bilingualism"[2]، ويقول في موضع آخر

---

[1] – صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية)جامعة تيزي وزو نموذجا(،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص17.

[2] – محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين ،الثنائية اللغوية، مطابع الفردوس، الرياض، السعودية، ط1، 1988م، ص20.

مؤكدا لفكرته مضيفا لمصطلح آخر موسعا لدائرة المصطلحات فيقول: "يجب أن لا ننسى حالة شائعة لدينا جميعا من الثنائية الرأسية والتي يمكن أن ندعوها ثنائية لهجية bidialectalism والتي يدعوها البعض ازدواجية اللغة أو الازدواجية اللغوية diglossia وهي حالة استخدام الفرد للهجتين من لغة واحدة وبصورة تكاملية"[1].

4. الازدواجية اللسانية/اللسنية/ الألسنية

من المصطلحات التي أطلقت على الظاهرة اللغوية التي تمس العامية والفصحى ومن الباحثين الذي قال به الدكتور الجيلالي بن يشو، ونص على أن "الازدواجية اللسانية "Diglossie" ترجمة للمصطلح الأنجليزي" diglossia"[1]، وكذلك نجد الدكتور صالح بلعيد استعمله مع اضطراب في استعماله، مرة أراد به (العامية والفصحى) في قوله: "إنّ الدارجات من (الازدواجية اللسنية)كذلك فهي ثابتة الوقوع وملازمة للوجود اللغوي ذاته، وليس فيها ما يزعج أو ينذر بقيام الساعة، ولم تطرح سابقا كمشكلة يجب القضاء عليها"[2]، ومرة أراد بها (الفصحى واللغة الأجنبية–الفرنسية–) في قوله بعدما تحدث عن التعدد اللغوي قائلا: "إن الازدواجية اللسانية/اللسنية لا خطر عليها فهي طبيعية كائنة لا تنقرض ولا يمكن التحكم فيها، ولا يستطيع المخططون اللسانيون الحد من مساحتها، بل عليهم دراستها وتحليلها واستخراج البنيات المتداخلة لفهم هذه الآلة العجيبة"[3]، والذي يظهر لنا أن

[1] – المرجع نفسه، ص29.

[2] – صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر ،مجلة اللغة الأم، دار هومة، ط1، 2009، ص32.

[3] – المرجع نفسه ،ص35.

هذا المصطلح لم يكتب له الشيوع، لأنه يتداخل مع تعريفات أخرى كقول أحد الباحثين: "الازدواجية اللسانية أو اللسنية والتي تعني البينية اللغوية والتداخل والاندماج"[1]، فالبون شاسع بين المفهومين.

ومن جهة أخرى هناك من يترجم مصطلح الازدواجية اللسانية بـlinguistiques variantes إلى la diglossie وشتان بين الترجمتين، أما مصطلح الازدواجية الألسنية فقد قال به صاحب الترجمة نادر السراج لما ترجم قول أندري مارتينيه حول الازدواجية قائلا: "نميل إذا إلى أن نخصص تحت مفردة الازدواجية الألسنية موقفا لغويا اجتماعيا، تتنافس فيه لهجتان لكل منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكون الأولى شكلا لغويا مكتسبا ومستخدما في الحياة اليومية ،وتكون الثانية لسانا يفرض استخدامه في بعض الظروف الممسكون بزمام السلطة".

5. التعددية اللسانية

نجد هذا المصطلح عند الدكتور محمد يحياتين حينما تعرّض للعلاقة بين اللغة وما يتفرع عنها بنظرة اللسانيات الاجتماعية، ويستدل عن ظاهرة التعددية اللسانية عبر تاريخ الأبحاث مسقطا إياها على الفصحى والعامية قائلا: "عندما تستقري تاريخ الأبحاث التي عنت بظاهرة التعددية اللسانية، تستوقفنا فيما نرى أبحاث فرجسون (fergusson) الذي شحذ مفهوم الثنائية اللغوية (diglossie)في نهاية الخمسينات، ويعني به تعايش تنوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة «التنوع الرفيع» (variete haute) أو(high variety)، أمّا الثاني فيسمّيه ب« التنوع الوضيع» (low variety) أو(basse variete)، وقد بنى تصوره هذا بعد إعمال النظر في بعض الأوضاع اللغوية التي تسم بعض البلدان كالبلدان العربية حيث تتعايش العربية الدارجة مع الفصحى، واليونان حيث تتعايش اللغة الإغريقية العامية) demotiki) والإغريقية الصافية)katharessouva).[2]

---

[1] – المرجع نفسه ،ص31.

[2] – محمد يحياتين، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية،الجزائر، ع11، 2006، ص73.

وهذا المصطلح لم يؤخذ بعين الاعتبار لمخالفته للشائع ، والعرف اللساني، والمعجمي، إذ يُطلق على مستويات لغوية عديدة.

6. المشكلة اللغوية

يعتبر من أغرب المصطلحات لافتقاره الشّروط، وانتفاء الموانع، والخصائص ،ومن ذلك يعتريه العموم، فيدخل فيه كثير من الظّواهر اللغوية التي تدخل دائرة الإشكال، وقد أشارت باحثة عربية إلى هذا المصطلح قائلة: "يعدّ معظم الباحثين اللغويين المعاصرين الازدواج اللغوي من المشكلات العويصة التي تعانيها اللغة العربية بل هناك منهم من اصطلح عليه المشكلة اللغوية»[1]، وهذه التسمية كسابقتها لم يكتب لها النقش في ساحة الباحثين للأسباب التي ذكرتها آنفا.

7.التعدد اللغوي

من المصطلحات التي تطلق على الظاهرة اللغوية التي يستخدمها الفرد أو الجماعة لنمطين لغويين في بيئة لغوية واحدة والذي قال بهذا المصطلح الدكتور محمد حسن العارف حينما قال عن الإزدواج اللغوي (la diglossie): "يطلق على هذه الظاهرة مصطلح آخر هو التعدد اللغوي"[1]، كما لا يجد حرجا الباحث المغربي محمد الأوراعي على اطلاقه في استعمال منظومتين أو أكثر في بلد واحد كما يمكن اطلاقه على الفصحى مع العاميات حيث يقول : "التعدد اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبي" Multilinguism" وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمية كالألمانية...وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عامية"[1].بل هناك من يرفض استعمال مصطلح الازدواج اللغوي ويؤكد توظيف مصطلح التعددية اللغوية بدلا عنه كما يتجلى عند الدكتور السعيد البدوي في

[1] – د.عبد الرحمان حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط:الأولى،كانون الثاني/يناير 2013م، ص422.

بحثه الموسوم ب: "مقتضيات الكفاءة في تعليم العربية كلغة إضافية ضمن ندوة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها".[1]

8. **تعدد اللهجات** : نجد من الباحثين من يفضل استخدام هذا المصطلح على هذه الظاهرة، لما له من وصف أدق للوضع اللغوي في العالم، فلا يرون حرجا في استعماله كقول بعضهم: "يخلق وجود تعددية اللهجات عوائق كثيرة أمام التلاميذ العرب، لأنهم ولدوا ناطقين باللغة المحكية، ولكنهم يجبرون عند ممارستهم الكتابة والقراءة على استعمال الفصحى..." ، والذي يظهر أنّ هذا المصطلح به عموم فلا يحدد الوضعية اللغوية التي توحي بالصراع والتنافس بين العاميات واللغة العربية الفصحى.

9. **الازدواجية العربية** : يعتبر من المصطلحات التي استعملها الباحث المغربي عبد القادر الفاسي الفهري حول هذه الظاهرة حينما تحدّث عن دعاة العامية وإحلالهم لها محلّ الفصحى قائلا: "وأمّا الدارجة أو العامية، فإنها تمثل تنوّعا ورافدا للسان العربي المتنوع،...، عوض أن تكون الازدواجية العربية موازية للازدواجية الألمانية أو الصينية، حيث تتكامل الصيغ المكتوبة والمنطوقة المتنوّعة..."

10. **الازدواجية اللغوية أو(الازدواج اللغوي)**: من المصطلحات التي كتب لها الذّيوع بين الباحثين، والذي يقتضي وجود نمطين من أنماط الاستعمال اللغوي المنتميان إلى أصل لغوي واحد، ولهذه الدّلالة أشارت إليها كثير من المعاجم الحديثة كقولهم: ازدوج الشيء: أي صار اثنين، وازدواج الشخصية: حالة الفرد إذا كان له نوعان من السّلوك أحدهما سويّ، وثانيهما مرضيّ لا إراديّ، وازدوج

[1] – د.عبد الرحمان حسن العارف ، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر ،مرجع سابق، ص422.

لسانه: استعمل الفصحى واللغة الدّارجة[1]. ونشير إلى أنّ هناك من يفرق بين الازدواجية اللغوية ومصطلح الازدواج اللغوي، بغض النظر عن المدلول بينه وبين الثّنائية، نجد الباحث يوسف مقران حينما تطرق إلى الفرق بين التّعدد اللغوي والتعددية اللغوية جازما ومستدلا بما استوحاه من التمييز الذي تقدم به كل من Michel Blanc و (Josiane Hamers) والذي طبق على مفهومي الازدواجية اللغوية (Bilinguilité) و الازدواج اللغوي (Bilingualisme)، وهذا واحد من الأسباب الذي يعمل على توسيع دائرة المصطلحات لغير ضرورة، ولا تزيد الباحثين إلا إرهاقا.

ثامنا: معايير اختيار مصطلح الازدواجية اللغوية عن الثنائية اللغوية

نختار من هذه المصطلحات الآنفة الذكر مصطلح الازدواجية المترجم ب "Diglossie"، إذ يستخدمه الكثير من اللغويين للدّلالة على شكلي اللغة العربية: الفصحى والعامية، وإن كان بعض الباحثين يرفضون هذا المصطلح لأنّهم يعتقدون بأن الازدواجية لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين، كما بين الفرنسية والعربية، والأحرى أن تُسمّى بالثنائية اللغوية[2]، فأصل التسمية عندهم مبنية على علاقة الانتماء وجودا وعدما بين الأشكال اللغوية، فإذا وجد الانتماء تسمى ثنائية لغوية عندهم، وإن عدم الانتماء تسمى ازدواجية، وطائفة من الباحثين يقولون عكس هذا الاعتبار، وإنّما تم اختيار مصطلح "الازدواجية اللغوية "Diglossie" للاعتبارات التالية:

---

[1] – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص1005-1006.

[2] Vincent Monteil, وينظر145-146 ينظر: إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص: - l'arbre moderne,librairie C-Kinkseick, Paris, 1960,p69.

- شيوعُ مصطلح الازدواجية اللغوية "Diglossie" على وجود مستويين من اللغة، إحداهما أصلا للأخرى، والشّيوع بين الباحثين في الاستعمال من مستلزمات المصطلح وثبوته .

- مصطلح "Diglossie" أقدم تاريخيا من مصطلح "Bilinguisme "، والذي كان ينص على الصراع القائم بين لغة أدبية مكتوبة ولغة أخرى عامية شائعة.[1]

- وجود شبه اتفاق على أنّ الثنائية "Bilinguisme " يبقى مصطلحا دالا على الإجادة التامّة للغتين كما يعرفها بلومفيلد فيما نقلته شادية التل التي ذكرت أنّ الاتفاق الوحيد بين الباحثين في هذا الميدان، بحيث تلك الظاهرة تعنى بمعرفة الفرد واستخدامه للغتين كالعربية والإنجليزية[2].

- مصطلح الازدواجية اللغوية من القضايا الاجتماعية التي يعالجها علم اللغة الاجتماعي، أو علم اللسانيات الاجتماعية والذي يهتم "دراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة، باعتبارها صادرة عن معان اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة وذلك من خلال النهر المتدفق للتبادل الاجتماعي اليومي"[3]، ولذا وجب مراعاة استعمال المصطلح في الساحة المتعارف عليها إذ هو من المصطلحات علم اللغة الاجتماعي[4].

- مصطلح "Diglossie" مصطلح من المصطلحات الأجنبية لذا يجب الوقوف عند مفهومها كما فهمها أصحابها أحببنا أم كرهنا.

---

[1] – محمود- إبراهيم كايد، ينظر: العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدارية ،مج3، السعودية، ع1، ذو الحجة 1442هـ-مارس 2002م، ص55.

[2] – ينظر: د.عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي فقه اللغة العربية ،مرجع سابق، ص198-199.

[3] – د.عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، قرأه واعتنى به: محمود عبد الصبور الجيار، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2012، ص10-11.

[4] Crystol David : dictionary of linguistics and phonetics :Diglossia – ينظر: مادة 2nded,Basil Blackwell, B.U.K,1980.

- أصول الازدواجية توحي بالاقتران والمشاكلة وتوحُّد العرف والسّلالة، كما ذكرت كثيرا في القرآن العظيم، وإ ن كان لفظها جديدا على المعاجم العربية، فهو لم يرد بهذا اللفظ في المعاجم القديمة، إلاّ أنه ثبت تفسير الأصل اللغوي لها، كقول ابن فارس: "الزاي والواو والجيم أصل يدل على المقارنةشيء لشيء"[1]، ومن هنا تطلق على استخدام مستويات لغوية مختلفة ذات الانتماء الجذري الواحد في المجتمع الواحد.

وقد سلك الدكتور نهاد الموسى هذا المفهوم، وقرر أنّ الازدواجية اللغوية مقابل عربي ل Diglossia في حين تكون الثنائية هي المقابل العربي لBilingualism معللا بتعليلات عقلية ولغوية إذ يقول: "وعلى الرغم من هذا نؤثر اتخاذ "الازدواجية" في الدلالة على هذا المفهوم من تقابل شكلين أو مظهرين أو مستويين لغويين في إطار العربية نفسها، وذلك أن الذين اختاروا الازدواجية في إفادة هذا المطلب أكثر، والغلبة من مستلزمات المصطلح، ثم إن الازدواجية مادتها "الزوج" وقد استقرت هذه المادة في العربية بدلالة جلية على الاقتران والمشاكلة، شأن العربية ولهجاتها، أو الفصحى والعامية، وهذه المادة في الطبيعة تشي بتوحد العرق والسلالة...أما الثنائية فإن أسس دلالتها مطلق العدد حتى تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشر والنور والظلام، والفقر والغنى، وذلك أشبه بالتقابل البعيد بين اللغات المتباينة، وهكذا تكون الازدواجية عندنا–مقابلا عربيا لDiglossia ، على حين تكون الثنائية –عندنا– هي المقابل العربي ل Bilingualism"[1].

وفي هذا المنحى يؤكد الدكتور عبد الكريم مجاهد أن اصطلاح الازدواجية أكثر مصداقية من الثنائية محتجا بالدلالة اللغوية ودلالة الاقتضاء حيث يقول: "إن اصطلاح الازدواجية أكثر صلاحية من الثنائية من الناحية اللغوية فهي مصدر صناعي للازدواج الذي هو في اللغة التزاوج والتزويج والزواج بمعنى الاقتران، وفي معجم الوسيط "مزدوج الثمر هو النبات الذي يحمل نوعين من الثمار مختلفي

[1] – نهاد الموسى، الازدواجية في العربية، ما كان وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، "ندوة الازدواجية في اللغة العربية"، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان ،1988م، ص84.

الصفات "والاقتران يقتضي إطارا مكانيا وزمانيا موحدا وهذا ينطبق بوضوح على اقتران الفصحى وهي لغة الكتابة وعاميتها على ساحة الوطن العربي، وهي لغة الخطاب الشفهي في مرحلةمعينة من الزمان".

كما نجد كذلك الباحثين عبد الحميد بوفاس، وفوزية سعيود يؤكدان أنّ معظم الدارسين العرب اختلفوا مع الغربيين في تبني المصطلح الأجنبي لظاهرتي الازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية ،حيث فضل الدارسون العرب مصطلح diglossieمقابل ازدواجية لغوية، ومصطلحbilinguism مقابل ثنائية لغوية[1].

[1] – ، د.عبد الحميد بوفاسي، د.فوزية سعيود، مفاهيم الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية في المؤلفات العربية والأجنبية المعربة رؤية تحليلية مقارنة، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد:2، عدد:2، السنة2020، ص22.